الأستاذ غانم عبد الغني

(Pr. GHANEM ABDELGHANI)

تتمة لمحاضرات طلبة الماستر (M1)

إختصاص "مدن"

المبحث الأول : مفهوم الحفاظ على المدن القديمة :

الحفاظ كما عرف من خلال العديد من الكتابات المتخصصة هو إجراء من شأنه تأكيد عدم حدوث التلف أو الاضمحلال، فهو بذلك يحوي جميع الإجراءات التي من شأنها تحقيق البيئة التنموية للتراث الحضاري والثقافي وفقا لأطر ومحددات تحكمها الأعراف والمواثيق الدولية في هذا الخصوص، إضافة إلى المجهودات المعنية بالإدارة والتخطيط السليم مع الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية لكي تتفق مع متطلبات واحتياجات المستعمل وطبيعة تطور هذه الاحتياجات في المستقبل وهو ما يضمن استمرارية المباني والمناطق التاريخية من منطلق كونها المكونات ذات القيمة والطابع المتميزواستخدام هذا المفهوم يعني منع تدهور وتشويه المدن القديمة أو البيئة التاريخية أو المباني التراثية والعمل على إطالة حياة التراث والطابع الحضاري المميز لتلك المدن بما يتضمن ذلك من فهم لجوانب اقتصادية واجتماعية وإدارية وتقنية، كما انه محاولة لإنقاذ هذه المناطق من فقدان هويتها وطابعها العمراني المميز، والحفاظ على أصالة المدينة القديمة واستمرارية البيئة التاريخية فيها وزيادة الكفاءة في الاستعمال.(1)

---

(1). نهى حسين ابو هنطش(نحو سياسة اعادة تاهيل المباني السكنية في مراكز المدن الفلسطينية-دراسةحالة نابلس-)

(رسالة ماجسترفي الهندسة المعمارية,كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية,نابلس فلسطين2007) ص32

المبحث الثاني : أهداف الحفاظ وإعادة التأهيل للمدن القديمة :

أن سياسة الحفاظ يجب أن تهدف إلى الحفاظ على كل ما هو ذو قيمة مؤثرة على شخصية المدينة من ناحية، وعلى توجيه كل ما هو جديد ليتعاطف مع الواقع من ناحية ثانية ، وتتعدد الأهداف والأبعاد التي تدعو إلى القيام بعمليات الحفاظ ونذكر منها الأبعاد التالية :

1 - الأبعاد المعنوية: والمتمثلة في الحفاظ على المشاهد التاريخية التي لا يمكن استبدالها، والمرتبطة بذكريات شاغلي المدينة القديمة والتي تعتبر تجسيدا لأحداث وفترات تاريخية لها تأثيرها وترجمة لظواهر معيشية خاصة تعطي استمرار للنبع الحضاري عبر العصور.

2- الأبعاد الثقافية: من حيث أن تعظيم الاستفادة من الموروث التاريخي وتطويع استخدامه حاضرا ومستقبلا يساهم في إنعاش المجتمعات العمرانية فكريا وثقافيا وفنيا.

3 - الأبعاد البيئية: والتي تتجسد في تحسين البيئة المادية للمناطق جوهري في تحسين بيئتها المادية. والمباني القديمة حيث أن إعادة الانتفاع الصحيح بها تساهم بشكل

4 - الأبعاد الاقتصادية: والتي تتمثل في تحقيق منفعة اقتصادية من إعادة الانتفاع الصحيح وحماية الموارد من الهدر والتردي

5 - الأبعاد الاجتماعية: حيث أن الانتفاع الصحيح بالمناطق التقليدية بمركز المدينة التاريخية مع الحفاظ على طابعها وشخصيتها التاريخية يحفظ للمدينة العربية تراثها وذاكرتها في
عصر تضمحل فيه الموروثات الثقافية على المستوى العالمي وتضيع الهوية وتتطلي شخصية المدن والسكان بلون وشكل النظام العالمي الجديد.

6 - الأبعاد السياحية: والتي تساعد على استقطاب وجذب السياح للتعرف على ثقافة وفكر و موروث حضاري، إذ تعتبر الوظيفة السياحية للتراث العمراني مصدر هام للدخل

7 - أبعاد سياسية: حيث يتم من خلال الحفاظ التعلم من الماضي وسرد التاريخ بأحداثه العظيمة وتعبر عن الحالة السياسية في تلك الحقب الزمنية على المدن وتعبر عن قيم الحكم ورسوخه وقوته واستقراره.

8 - أبعاد دينية وعقائدية: وتتمثل في وضع القيم الدينية في المجموعات العمرانية من دور عبادة ومساكن وأسواق.

المرجع نفسه-ص34الى ص35

المبحث الثالث : اساليب الحفاظ على المدن القديمة :

مهما يكن سبب المحافظة على الموقع، يجب توفير سبل الحفاظ ، ليس على الوحدات المنفردة فحسب ، بل على الصفات الأصلية للمنطقة ككل، و هذا أمر أساسي ، وتختلف أساليب الحفاظ تبعا لنوع و حالة الأثر أو التراث العمراني وتتراوح ما بين إعادة البناء إلى الحفاظ أو التطابق وفيما يلي أهم الأساليب المتبعة في عمليات الحفاظ :

1- الإصلاح : وهي عملية معالجة تلف أو خلل بالمبنى وقع فعلا أو يحتمل وقوعه وتكون بالوسائل المتبعة مثل إصلاح الشقوق أعمال عزل وهي بذلك تهدف إلى تحسين المظهر العام للمبنى وتدارك تلف قد يؤدي إلى مخاطر اكبر إذا تأخرت المعالجة، والإصلاح هو عمل دوري يجب أن يتم بصفة مستمرة للحفاظ على المبنى وحمايته.

2- الحفاظ والوقاية: وفيه لا يسمح بالتغيير مطلقا ويسمح بإضافة مواد غير ظاهرة للحفاظ على حالة المبنى، ولا يسمح بالإزالة أو تغيير الاستعمال الأصلي للمبنى، وهي تعنى بشكل مباشر مع الخصائص الثقافية ويكون هدفها الإبقاء على المبنى بشكله الأصلي.

3- الحفاظ المعماري: وتعنى بالإضافات المادية والمواد الداعمة التي تحافظ على هيكل المبنى كما هو للتأكيد على استمراريته وعدم تلفه، وهي تسمح ب بعض التغيير بضوابط محددة كذلك الإضافات، ويسمح ببعض الهدم والإزالة في حالة التأثير على القيمة التراثية، ولايمكن تغيير الوظيفة إلا إذا كانت الوظيفة الأصلية دينية.

4- الترميم: إعادة المبنى إلى حالته الأصلية عن طريق إعادة بناء ما تهدم منه أو إصلاحه حسب ما تتطلبه الحالة، حيث يتعرض المبنى بمرور الزمن إلى تغييرات مختلفة تحدث تشويها أو تعديلا به وتعتبر هذه وسيلة من وسائل التعامل مع حالات فردية من المباني التاريخية.

5- إعادة البناء والإنشاء: ويتضمن هذا الأسلوب إعادة البناء للمباني القديمة على مثل الحالة التي كانت عليها في الماضي.

6- التطوير وإعادة الاستخدام: تعتبر عمليات إعادة الاستخدام من التوجهات الحديثة والتي حظيت باهتمام العاملين في المجال لما تمثله من دعم ايجابي لعمليات الحفاظ وضمان نجاح واستمرارية عملية الترميم، وهناك ثلاث متغيرات تؤثر على نجاح تغيير الاستخدام للمباني الحالية إلى استخدامات جديدة.

- مقابلة المبنى لاحتياجات برنامج الاستخدام الجديد
- الجدوى الاقتصادية لعمل التغييرات اللازمة مقابل إعادة البناء
- التزام المالك بإعادة الاستخدام حتى لو كانت التكلفة اكبر

- مرجع سابق الذ كر ص 40 الى ص 42

المبحث الرابع: الأسس اللازمة للحفاظ على المدن القديمة

ترى بعض الدراسات ان مشكلة الحفاظ على الموروثات المعمارية بجوانبها المختلفة يجب ان تحل وفقاً للاسس الاتية :

1-الاختيار يجب ان تتضمن عملية الحفاظ مبدأ اختيار انواع معينة او اعداد معينة من الابنية التراثية لصعوبة تحديد مدينة بكاملها لان عملية الحفاظ تحتاج الى تغيير كلي ومؤشر على مجمل النسيج الحضري للمدينة، وعلى ان يتم التحديد وفق المعايير الاتية: 1- اهمية البناية وفاعليتها الاقتصادية والاجتماعية .
-2حجم المبالغ المصروفة لعملية الحفاظ على بناية مقارنة مع البنايات الاخرى وبالاعتماد على الجوانب النوعية وليس الكمية .
-3الملاكات المتخصصة بهذا المجال .

2-القيود والتوسعات
من خلال تحديد اهداف الحفاظ تظهر الحاجة الملحة في اجراء الموازنات العملية لانجاح هذه المهمة، فقد تحتاج مدينة معينة للحفاظ على موروثاتها التاريخية بينما توجد مدينة اخرى تحتاج الى النمو والتوسع، فتظهر محددات وقيود خلال عملية الموازنة، حيث عندما يتم الحفاظ على جزء من المدينة فأن الجزء الاخر سيكون معرضاً للتغيير، فمثلاً اذا كانت هناك حاجة الى بنايات بارتفاعات عالية في منطقة معينة يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار وجود بنايات عالية ضمن الجزء المراد الحفاظ عليه، لاجل المحافظة على سلامة النسيج الحضري وعدم هيمنة المباني العالية على المباني الواطئة ضمن المنطقة .

3-الاستخدام الكفوء والاهمية الاقتصادية
لكي يكون الحفاظ مبرراً من الناحية العملية يجب الاعتماد على استخدام التقنيات العلمية المؤثرة وعلى الوفرة الاقتصادية، حيث ان هذين العاملين متداخلان فيما بينهما، وان الاهمية الاقتصادية للبناية تعبر عن المردودات الاقتصادية لتلك البناية ويجب ان تكون عملية الحفاظ ذات تكاليف معتدلة وملائمة المكان للاستخدامات المختلفة من حيث تجهيز الكهرباء والماء والغاز والعوامل المساعدة التي تعزز اهمية البناية وتحقق السهولة والسلامة

http//www.google.fr/url ?sa=gilgamish.org/printarticle.php ?id=2752

في عملية الوصول الى البناية ما يحقق اهميتها وقيمتها الاقتصادية، ويجب الاهتمام بالعامل البيئي .
فهل ان مكان البناية يحقق الهدوء من الضوضاء او انه يحقق مجالاً للعمل فقط. وعليه فان الموروث الذي يحقق الجوانب الفنية والاقتصادية والبيئية يعتبر عنصراً مهماً يجب الاهتمام به وصيانته، وان البنايات القديمة التي اهملت مثل هذه الجوانب بقيت فارغة وغير مشغولة

4-اولويات الاستثمار

من خلال الدراسات الميدانية يمكن تحديد الاسبقيات في توجيه الموارد و الاستثمارات نحو المباني ذات القيمة التراثية العالية .
حيث ان الامكانات المتوفرة في البلد لا يعني انها توجه نحو صيانة كل المباني التراثية، اذا ما تبين بانها ذات كلفة باهظة وعليه يجب ان يتركز الاهتمام في تحسين البيئة والتعمير للمباني التراثية اعتماداً على الامكانات المتوفرة وضمن برنامج عمل زمني يحدد المراحل المتتالية لعملية توجيه الاستثمارات وصيانة الموروث وفق المعايير والاسس المعتمدة .

2-5علاقات المجتمع

ويقصد هنا المستوى الاجتماعي المطلوب لتحقيق سياسة الحفاظ الناجحة حيث لابد من وجود مجتمع مدرك ومتعلم كضرورة حتمية قبل احداث عملية الحفاظ وليس بعدها، حيث تتحدد الرغبة في الحفاظ على الموروث من قبل المجتمع نفسه وتقع المســـؤولية على عاتق الطبقة المتعلمة .

المرجع نفسه

الفصل الثاني: سياسات الحفاظ على المدن القديمة في الجزائر

المبحث الاول: مشروع الحفاظ على المدينة القديمة بالجزائر العاصمة "القصبة"

المبحث الثاني: مشروع الحفاظ على المدينة القديمة بتلمسان

المبحث الثالث: مشروع الحفاظ على المدينة القديمة بولاية باتنة "منعة"

المبحث الرابع: توصيات لسياسات الحفاظ على المدن القديمة في الجزائر

المبحث الأول: مشروع الحفاظ على المدينة القديمة بالجزائر العاصمة

المشروع الضخم لترميم القصبة

مخططات تظهر إلى الوجود .. والمدينة العتيقة تئن في صمت

ما تزال مخططات ترميم وحماية قصبة العاصمة تتوإلى الواحدة تلوالأخرى، إلا أن المدينة العتيقة ما تزال هي الأخرى تواصل طريقها نحوالإندثار والزوال في صمت وعلى مرأى ومسمع الجميع.ولتدارك الحالة التي آلت إليها القصبة وضع الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية بالجزائر مخططا لحمايتها وترميمها، فهل سينجح هذا الأخير في احتواء صرخات القصبة التي تعد بمثابة ذاكرة الجزائر.

ويضم هذا المخطط ثلاث مراحل أولها المخطط الاستعجالي الذي مس 343 مبنى بالقصبة، وكذا المرحلة الثانية التي تعلقت بالدراسات من خلال التحليل التاريخي والتيبوغرافي لما قبل المخطط كما تخص المرحلة الثالثة الضبط النهائي لمختلف الأسس التي يقوم عليها المخطط.

ويراهن الديوان على نجاح هذا المخطط الذي يتطلب غلافا ماليا إجماليا بقيمة 56 مليار دج، حيث يعود سبب "فشل" المخططات التي سبقت حسب المختصين، لـ"عدم توفرها على منهجية فعالة كما أنها لم تقم بمخططات استعجالية".

وقد عكفت الجهات المعنية منذ ثلاثة عقود من الزمن على وضع مخططات إنقاذ أوترميم القصبة -التي تضم حاليا أقل من 600 منزل بعد أن كان يفوق العدد 1700 لدى تشييدها- إلا أن بعضها بقي حبيس الأدراج وتوقف البعض الآخر مباشرة فور انطلاقه فيما رحل الباقي مع رحيل بعض المسؤولين.

ومع قدوم كل مخطط جديد يتنفس سكان القصبة الصعداء لكن سرعان ما يختفي تاركا ورائه عدة تساؤلات تتعلق بغياب رؤوس الأموال أواليد العاملة أوعدم توفر الإرادة السياسية أوأنه لاهذا ولا ذاك وإنما يتطلب على حد تعبير أحد أبناء القصبة " انتظار قدوم داي من الحقبة العثمانية لإعادة إنعاشها ".

ويعود تاريخ المهمة الإنقاذية الأولى إلى 1981 حينما دعت الحكومة لإجراء دراسات لوضع خطة إنقاذية وبعد مرور ثمانية عشر شهرا عن ذلك عهد بالمهمة إلى المركز الوطني للدراسات والأبحاث التطبيقية والحضرية ومرة أخرى لم تسفر الخطة عن أي نتائج ملموسة رغم أن القصبة صنفت سنة 1991 كتراث وطني كما صنفت في 1992 كتراث عالمي من طرف اليونيسكوقبل أن يحدث لها يوم وطني المصادف ل 23 فبراير من كل سنة.

http//www.eloumma.com/ar/content/view/17513/97/

وشرع الديوان حسب مسؤوليه في استقبال ملفات سكان المدينة العتيقة بهدف تسوية وضعية البيوت التي يشغلونها منذ سنوات حيث يستقبل يوميا من خمسة إلى ستة ملفات تختلف مطالب أصحابها بين موافق على الانتقال إلى مركز عبور إلى حين انتهاء أشغال الترميم وبين موافق على التنازل عن مسكنه بالقصبة مقابل الحصول على مسكن جديد بحي آخر بالعاصمة.

وبينت عمليات الإحصاء عدم ملكية العديد من المواطنين الساكنين بالقصبة لعقود امتلاكها نظرا لشرائها شفويا أواستغلالها بعد أن كانت بيوتا مهجورة.

كما يتسبب بعض السكان عنوة في تكسير وتهديم بيوتهم للحصول على بيوت جديدة خاصة بعد عمليات الترحيل التي عرفتها العاصمة خلال السنة الماضية.

وعلى صعيد آخر، استحسن السكان وكذا الجمعيات المهتمة بالقصبة الخطوة التي أقدم عليها الديوان بوضعه "مخططا متكاملا" لإنقاذ هذه الاخيرة من الإنهيار حيث وأعربوا عن أملهم في أن ينجح المخطط حتى تستطيع القصبة أن ترى من خلاله النور من جديد بعد سنوات من الإنهيارات.

وعبرت جمعية "أصدقاء العاصمة انقذوا القصبة" على لسان رئيستها حورية بوحيرد عن تفاؤلها بوضع هذا المخطط الذي وصفته ب"الأول من نوعه" يخصص لحماية وترميم القصبة داعية إلى ضرورة وضع "استراتيجية تدخل ذكية" لمرافقته ومتابعته زيادة عن تكوين لجنة تضم ممثلين عن مختلف القطاعات للسهر عن مدى تطبيقه بشكل فعال.

من جانبه، أوضح بلقاسم باباسي رئيس مؤسسة القصبة أن هذه الأخيرة متفائلة بالبنود العريضة التي تضمنها المخطط مبرزا استعداد مؤسسته للمساهمة في تحقيقه من خلال توعية المواطن المقيم بحي القصبة.

وأضافت الجمعيتان أن هذا المخطط جاء بعد سنوات من "كفاح" جمعيات المجتمع المدني وصرخاتها التي أطلقتها للوقوف أمام الإنهيارات التي أصبحت تهدد المدينة العتيقة بالإندثار خاصة بعد إعلان الديوان عن انهيار 82 بيتا كل سنة بالقصبة.

وعلى عكس المتحدثين السابقين أوضح الرئيس الشرفي لمؤسسة القصبة السيد علي مبتوش أن الوقت "هناك العديد من الأحياء بالقصبة اندثرت مع مرور السنوات وهوما ولد قناعة" لديه بأن "تأخر لإنقاذ هذه المدينة التي توشك على الموت".

المرجع نفسه

وأضاف أنه منذ سنوات كنا نسمع عن إندثار بيت أوآخر لكن اليوم نرى إندثار أحياء بأكملها التي شيدت على أنقاذها مرائب سيارات مثلما ما حدث في حي "جواب" وحي "البحر الأحمر"، "متسائلا عن

الجدوى من تنظيم مهرجانات طوال السنة على مستوى العاصمة في وقت تترك فيه الذاكرة الجزائرية الحية تصارع الموت في صمت".

ما أثر على الوضعية المزرية لبيوت القصبة أيضا هوالترميمات العشوائية التي يباشرها يوميا سكان هذا الحي على بيوتهم وغايتهم ليس الترميم من أجل الترميم وإنما لحماية عائلاتهم من الإنهيارات المفاجئة.

وزادت عمليات الترميم هذه من الطين بلة حيث شوهت الجانب العمراني والمعماري للعديد من البيوت وطمست روحها التراثي كما أثرت عشوائيتها وفقدانها لأية معايير على الإنهيارات.

وفي انتظار أن يصل المخطط للأهداف التي أوجد من أجلها والتي من شأنها ربما إنعاش القصبة وجعلها تسترجع حلتها المعهودة استحدث الديوان ولأول مرة قرار صارما يقضي بمنع السكان من القيام بأية ترميمات فردية تمس الطابع العمراني للمدينة التي دقت منظمة اليونيسكومرارا أجراس الخطر بشأنها.

مرجع سابق الذكر

المبحث الثاني: مشروع الحفاظ على المدينة القديمة بتلمسان

رصدتها الدولة الجزائرية لإنجاح التظاهرة..أكثر من 3ر1 مليار دج لترميم وتهيئة المدينة العتيقة تلمسان

خصصت الدولة الجزائرية غلافا ماليا قدره 388ر1 مليار دج للقيام بأشغال الترميم والتهيئة لمختلف دروب وأزقة وساحات المدينة العتيقة لتلمسان في إطار التحضيرات الخاصة بتظاهرة "تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2011". وترمي هذه الأشغال التي جسد البعض منها فيما توشك العمليات المتبقية على الانتهاء حسب مديرية الثقافة إلى إعادة تأهيل هذا الجانب من النسيج الحضري العتيق وتثمين كنوزه المعمارية وأنشطته التقليدية عن طريق إحياء تراثه وتشجيع صناعته الحرفية. ويتضمن برنامج التهيئة أساسا الساحات العمومية التي تضمها المدينة القديمة وذلك لخلق بها أنشطة تجارية تتناسب مع طابعها الحرفي التقليدي. وتمثل منطقة "باب زير" عينة من هذه الساحات الواقعة في أحضان المدينة القديمة. وقد شملها برنامج خاص يهدف إلى تهيئتها عن طريق خلق فضاءات ثقافية وحرفية وتجارية لعرض المنتوج التقليدي. وتعرف العملية حسب نفس المصدر تقدما كبيرا بعد أن تم ترميم

http//www.alapn.com/index.php ?mod=article8cat.....article

بعض المباني وهدم أخرى هشة مع تعويض أصاحبها في إطار نزع الملكية لتحويل المنطقة إلى قطب سياحي. كما يتم ضمن هذه العملية تبليط الأزقة ومختلف الدروب المتشعبة داخل المدينة مع تدعيمها بشبكة الإنارة وتزيين مظهرها الخارجي كي تستقبل الزوار وضيوف عاصمة الزيانيين طيلة التظاهرة الدولية في أحسن الظروف وكذا ترقية الحركة السياحية.

وإلى جانب هذه الأشغال تجري عملية ترميم بعض المعالم التاريخية من مساجد وزاويا قديمة أمثال "سيدي الجبار" و"سيدي اليدون" و"سيدي لحسن" و"أولاد سيدي اليمام" ومرافق قديمة كحمام" الصباغين" الذي يعود إلى عهد المرابطين والفرن القديم و"دار السبيطار" أو "الدار الكبيرة" التي كانت ساحة لأحداث ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب .

المرجع نفسه